Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقوله :

ملء فؤاد الزمان إحداها

إن عدل به إلى أهله ، وأزيل عن مقتضى لفظه اختل المعنى وانقطع ، عن قوله بعده :

فإن أتى حظها بأزمنة أوسع من ذا الزمان أبداها

فهذا فصل واضح وفرق ظاهر . وأما أبيات شاتم الدهر فإنما صدرت مصدر الهزل ، وجرت على عادة فى الاستعمال متداولة (٤٣) . . ووجه الخطر فى هذا الاستنتاج الذى توصل إليه القاضى الجرجانى أنه يخرج بالاستعارة إلى غير مجالها ، إلى الإسناد وهو يتم عن طريق العقل لا اللغة ، فكأنما هى نوع من المجاز العقلى ، فى حين أنها فى المجاز اللغوى أقدر على القيام بوظيفتها وهى التركيب والصهر والتوحيد ، وليس مجرد التصوير أو تقريب الشبه كما ظن القاضى .

هذا التصور العقلى لمعنى الاستعارة يلاحقها عند القدماء ، وهذا الآمدى – مرة أخرى – يخطئ أبا تمام فى استعارة ممتدة ، على نحو أكثر جودة وتماسكا من استعارة العبق التى لم يرض عنها القاضى ووصفها بالهزل ، وهى أدخل فى لغة الفن والتصوير الشعرى من أمثلته التى تولى الدفاع عنها . أما بيتا أبى تمام فهما :

فلو ذهبت سنات الدهر عنه وألقى عن مناكبه الدثار

لعدل قسمة الأرزاق فينا ولكن دهرنا هذا حمار

قوله « وألقى عن مناكبه الدثار » لفظ ردىء ، وليس من المعنى الذى قصده فى شىء ، وصدر البيت لائق بالمعنى ، فلو كان اتبعه بما يكون مثله فى معناه بأن يقول : فلو ذهبت سنات الدهر عنه واستيقظ من رقدته أو انتبه من نومه أو انكشف الغطاء عن وجهه ، لكان المعنى يمضى مستقيما ، لأن من كان ذا سنة أو نوم أو مغطى عن وجهه أو عينيه ، فإنه لا يبصر الرشد ولا يكاد يهتدى لصواب . وإنما هذه كلها استعارات ، والمراد بها هداية القلب وإبصاره وفهمه ، وقد جرت العادة باستعارتها فى هذا المعنى . فأما دثار المناكب فليس من هذا الباب

(٤٣) الوساطة ص ٤٢٩ – ٤٣١ والزبر : الرأى أو القوة .